ولما جاء امرنا اى عذابنا او امرنا بعذابهم واهلاكهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا اى بفضل منا بان هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة وانما ذكره بالواو كما فى قصة عاد اذ لم يسبقه فيها ذكر وعد يجرى مجرى السبب المقتضى لدخول الفاء فى معلوله كما فى قصتى صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح قوله واخذت الذين ظلموا انفسهم بالشرك والبخس الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا فى ديارهم جاثمين اى ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم وهو استعارة من جثم الطير اذا قعد ولطى بالارض كان لم يغنوا فيها اى كانهم لم يقيموا بديارهم مرة من الدهر ماخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا اقام فيه مستغنيا به عن غيره الا بعدا اى هلاكا والبعد ضد القرب واستعمل هنا بمعنى البعد بفتحتين كالرشد من بعد بالكسر اذا اهلك لمدين كما بعدت ثمود قال ابن عباس لم يعذب الله امتين قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم وفى تفسير الاستاذ العامة على كسر العين من بعد يبعد بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع بمعنى هلك وانما شبه مدين بثمود لان عذابهم كان ايضا بالصيحة والفرق كما ذكره ابن عباس وقرى بعدت بضم العين على الاصل فان كسرها تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد بفتح العين مصدر المكسور وهذا اوضح مما مر انفا ولقد ارسلنا موسى باياتنا ليس المراد بالايات التوراة كما قيل لان التوراة نزلت بعد هلاك فرعون وملائه كما صرح به هذا القايل فى سورة المومنين بل المراد الايات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التوراة حين اباها بنو اسرائيل وحكى الجواب عن القيل بان يكون مراده بذكر التوراة او المعجزات فى معنى الايات مطلقا من غير تقييد ببنى اسرائيل وفرعون وقومه بقرينة تخصيص قوله وسلطان مبين بالمعجزات والعصا الى فرعون وملائه والله اعلم والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا للمصدر المؤكد اى ارسلناه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين وهو العصا فيكون عطفا للخاص على العام وانما افردها بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الايات تعم العلامات المفيدة للظن والبراهين التى تفيد اليقين والسلطان يختص بالبرهان القاطع الذى يفيد اليقين وان لم يتاكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالبرهان القاطع المعتضد بالحس وفسر البغوى السلطان المبين بالحجة المبينة وسكت عن الايات او الحجة المبينة تفسير لهما وفسر الخازن قوله باياتنا اى بحججنا والبراهين التى اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته وفسر السلطان المبين بالمعجزة القاهرة الظاهرة الدالة على صدقه ايضا قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة

وسمى السلطان العدل سلطانا لانه حجة الله فى الارض وفى الامالى بعد قوله بسلطان مبين اى ما اتى به من المعجزة سمى ايات باعتبار الدلالة على صدقه وسلطانا واضحا باعتبار سلطانه على الخصم او الايات الاحكام والسلطان براهينها وقيل السلطان استيلاؤه على قلب من يراه لقوله تعالى والقيت عليك محبة منى لم يره احد الا احبه وقيل لم ياخذه فشل ولا خوف من اول شانه ولذلك اخذ بلحية فرعون وهو طفل وقتل القبطى بين اظهر قومه فركله الى فرعون الكافر الشهير بعداوة الله وموسى وملائه يعنى اتباعه واشراف قومه فاتبعوا اى الملا امر فرعون يعنى ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى الكليم قال الاستاد معناه فاتبعوا امره بالكفر بموسى اى فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم قوله وما امر فرعون برشيد اى وما هو عليه برشيد اى مرشد او ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح لخبثه وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير لان اللعين كان دهريا وهو القايل بقدم العالم على الصورة الكاينة انفا والفرق الضالة كثيرة كالسوفسطائية وهم النافون للعلم وحقايق الاشياء واصحاب الطبايع وهم القايلون بقدم العناصر الاربعة الماء والتراب والنار والهواء والفلاسفة وهم القايلون بقدم العالم ونفى الصانع والمجوس وهم القايلون بقدم الافلاك وفرقة اخرى وهم الذين يعبدون الانسان المحدث كجمشيد وفرعون ونمرود وغيرهم وفرقة اخرى وهم المفوضة الذين قالوا ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم وفوض اليه خلق الدنيا وقد ظهر فى زمننا فرقة اخرى جامعة لهؤلاء الفرق بل لبقية الفرق كلهم فى الفساد وهم القايلون بالجبنية يعنى ان الله خالق الاشياء وهو مع هذا عينهم ليس غيرهم تبا للجميع اخر الدهر تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وان شئت تفصيل الفرق فراجع الى الملل والنحل للامام ابى بكر الباقلانى وايضا الى غنية شيخنا عبد القادر الجيلانى قدس سره ثم ذكر حال اللعين يوم القيمة بقوله يقدم اى يتقدم ويمشى امام قومه قومه وهم وراءه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم وفى الصحاح قدم بالفتح يقدم قدما اى تقدم قال الاستاد يعنى كما تقدم قومه فادخلهم البحر فى الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار اى فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم وقدامهم لخبثه كما كان قدوتهم فى الضلال والكفر فى الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم فى النار وانما ذكر اورد بلفظ الماضى لا بلفظ المستقبل المطابق لقوله يقدم مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى ادخالها واتيانها ايرادا قلت ورايت نهارا كتابتى هذه الاية منامًا فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بعض من يحب فرعون بانه يعبد شيئا يابسا منقطعا فانتبهت ويدى الى السماء استعيذ بالله من ذلك عن ابن عباس معناه اضلهم فاوردهم النار وقال قتادة فى قوله يقدم الخ يعنى يمضى فرعون بين ايدى قومه حتى يهجم بهم على النار قال ابن عباس

١٧٣

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)